الباب الثانى

التاريخ والأهداف

لمحة تاريخية:

يتردد مصطلح التنصير في كثير من الكتابات العربية، وهو مرادف لمصطلح التبشير والتبشير هوالتعبير النصراني المحبب لحملات التنصير، وله عند النصارى تعريفات مختلفة بحسب العصور التي مرت بها النصرانية فتارة إرسال مبعوثين ليبلّغوا رسالة الإنجيل لغير المؤمنين ، أو محاولة إيصال تعاليم العهد الجديد لغير المؤمنين[1] ، أو إيصال أخبار سارة إلى الأفراد والجماعات ليقبلوا يسوع المسيح مخلّصًا، وأن يعبدوه من خلال عضوية الكنيسة، وفي حالة عدم إمكان ذلك السعي إلى تقريب المعنيين من الأفراد والجماعات من الحياة النصرانية بما في ذلك صرفهم عن دياناتهم بشتى الوسائل والأساليب ولما ظهر الإسلام دخلت الأمم في دين الله أفواجًا ، ودخل الإسلام إلى مهد النصرانية في بلاد الشام ثم مصر ثم آسيا الصغرى ، لتتحول شعوب وأمم إلى الإسلام دين الله العظيم وطوال قرون عديدة تواصلت الحروب الصليبية تريد العودة إلى البلاد المباركة، ولكن من غير فائدة لذا ظهر بديل آخر لغزو المسلمين يقول فليب حتى كان من نتائج الحروب الصليبية فكرة جذب المسلمين إلى اعتناق المسيحية[1] عن طريق الإقناع ، بدلاً من طريق

١- النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير- محمد عثمان صالح ٤٧

القوة والإكراه والخيبة التي منيت بها الحملات الصليبية في الوصول إلى غايتها وموت الدوافع التي كانت تدفع الناس للالتحاق مهد الطريق لفكرة جديدة : استمالة المسلمين وجذبهم بطرق سلمية وودية ، وهذه الفكرة هي أساس التنصيرالمسيحي .

وانقضت عصور الظلام الأوروبية ، وبدأت الأمم النصرانية متأثرة بعلوم المسلمين في النهوض والمشاركة في ركب الحضارة ، لكن الهاجس الذي سيطر على هذه النهضة هو كيفية خنق العالم الإسلامي والسيطرة على ثرواته وكان البارون دوتيز ١٦٤٤م من أوائل الداعين للاهتمام بالتبشير ودعا لتأسيس كلية لتخريج المنصرين ، ولكن نداءه لم يلق مجيبًا وفي عام ١٧٩٥م تأسست جمعية لندن التبشيرية بقيادة المبشر كاري ، ثم تأسست مثيلاتها في عدد من الدول الأوربية وتوالى تأسيس جمعيات التنصير فأنشأت في عام ١٨٥٥م جمعية الشبان المتطوعين للتنصير ثم تنوعت جمعيات التنصير، وتخصصت كل جمعية بلون مرحلة من مراحل العمر ، فأنشأت جمعيات لتنصير النساء ، وأنشأ في عام ١٩٠٢م جمعية تنصير الشبان ، ثم في ١٩٠٧م تأسست جمعية تنصير الكهول وقد اتجه المنصرون إلى العالم الإسلامي خلال سنين طويلة متباعدة ، وكان أرخبيل أندونيسيا هو باكورة النشاط لهم حيث

١ـ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ـ عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٢٩

وصل المنصر المشهور فرنسيسكوس اكسافيريوس في ١٥٤٦م ثم تتابع المنصرون مع وقوع البلاد تحت الاستعمار البرتغالي ثم الهولندي ثم الإنجليزي ، وقد كان الجهد المبذول في تنصير أندونيسيا عظيمًا ، فقد وصل عدد الكهنة الكاثوليك عام ١٩٧٣ م إلى ١٣٠ كاهنًا ، ويضاف إلى ذلك ٢٢ أبرشية ،٩هيئات للرهبان والراهبات ، و٣٣ مطرانية ، فيما وصل عدد الكاثوليك إلى مليون وربع كاثوليكي وقد تجمعت فلولهم في مالطة عام ١٨١٥ م ووضعوا برامج للتنصير في الدول العربية استجابة لبرنامج إنجليزي اسمه مشروع تنصير بلاد البحر الأبيض المتوسط وأرادوا من خلال انتشارهم في الشرق الإسلامي تعويض الخسارة التي لحقت بالكنيسة في أوروبا أمام موجة الحضارة الجديدة الناشئة في الغرب وفي عام ١٨٣٠ غزت فرنسا الجزائر ، وقد صحب الجنرال الفرنسي بورمنت ستة عشر قسيسًا ، وقال لهم بعد سقوط مدينة الجزائر :إنكم أعدتم معنا فتح الباب للنصرانية في أفريقيا ، ونأمل أن تنبع قريبًا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع.

مراحل التنصير

اتخذ التنصير في مصر ثلاث مراحل متتالية حتى وصل حصاد التنصير البروتستانتي عام ١٩٤٧إلى ٩٦٧ فردًا، والكاثوليكي في نفس العام ١٨٠ فردًا، وكانت إرساليات التنصير تهدف إلى تحويل مصر إلى

معسكرَين متناقضَين، كما فعلوا بالسودان ذات الشمال المسلم والجنوب المسيحي، وقد أوضح مسيحيُو الجنوب كراهية المسلمين؛ لذا فقد ركزت حركات التنصير على صعيد مصر، فأنشأوا فيها المركز الرئيسي لهم، وكانوا ينقلون إليه من يختطفونه من أطفال الوجه البحري ونسائه وبشئ من التفصيل فقد مرالتنصير بعدة مراحل يمكن تحديدها فى مصر كما يلى:

المرحلة الأولى ١٧٦٩-١٩١٠م

بدأ التنصير في مصر في هذه المرحلة داخليًا، فقد حاولت الكنيسة الكاثوليكية فى روما ضمّ الكنيسة الأرثوذكسية فى مصر إليها، واتباع مذهبها، كما حاول البروتستانت في إنجلترا وأمريكا فعل نفس الشيء مع مسيحيّي مصر، وإن تخلل ذلك تنصير بعض المسلمين؛ لذا بعث بابا روما مندوبًا عنه إلى البطريرك القبطي بولس الثامن عشر، ليتولى رئاسة الكنيسة المصرية في ١٧٦٩م ، لكن البطريرك القبطي رفض لأن الكنيسة المصرية لم تنسَ الحقبة الأولى من تاريخها التي عانت فيها من اضطهاد الكنيسة البيزنطية ومع ذلك فقد أرسل بابا روما في أواخر ذلك القرن جماعة من الرهبان لبث المذهب الكاثوليكي بين الأقباط، ثم ازداد عدد هؤلاء الرهبان الذين استوطن بعضهم الصعيد، ونشطوا في جذب الأقباط، وفي القرن التاسع عشر أضيف نشاط إرساليات البروتستانت

جانب الكاثوليك، ووفدوا إلى مصر من إنجلترا وأمريكا عن طريق الشام، وارتبط نشاطها بسعي الدول الأوروبية والغربية إلى غزو بلاد المشرق، وخلق أقليات ترتبط بها وتؤيدها وظهرت حركة التنصير بوضوح في مصر في منتصف القرن التاسع عشر، خاصة في عهد الوالي محمد سعيد باشا، مستفيدةً من الامتيازات الأجنبية، ومؤازرة قناصل الدول لهم،و أنشأ الأمريكان أول مجمع شيخي لهم في ١٨٦٠برئاسة جيمس بارنيت، وفي هذه الفترة كانت الإرساليات الإنجليزية تركز نشاطها على اليهود،بينما تركز الأمريكية على الأقباط، ووجدوا أن إنشاء المدارس من أنجح الوسائل؛ إذ ينجذب إليها كافة الطوائف، فأنشأوا أول مدرسة لهم في ١٨٥٥، وأنشأوا كليةً في ١٨٦٥، وبلغت المدارس والإرساليات في ١٨٩٧ نحو ١٦٨ مدرسة يدرس بها ١١٠١٤ تلميذً، وبدأ الأقباط يشعرون بهذا الخطر، خاصة بعد إنشاء كلية البنات الأمريكية عام ١٩٠٨، وعارض الأقباط نشاط التنصير، ودعا كبار الأقباط لمقاطعة مدارس المنصرين، واستعانوا بالخديوي إسماعيل في ذلك .

المرحلة الثانية ١٩١٠-١٩٢٤ : في هذه المرحلة بدأت تنمو لدى المنصرين فكرةُ تنصير المسلمين، وأعلن جون موط شعار ضرورة تنصير العالم كله في هذا الجيل؛ لذا انعقد أول مؤتمر عالمي للإرساليات في أدنبرة باسكتلندا في ١٩١٠برئاسته،وجمع مندوبين من ١٥٩ جمعية من معظم المنظمات والكنائس وركّز هذا المؤتمر على دور التعليم في

تنصير الحياة الوطنية في العالم الثالث، وعلاقة التنصير بالأديان غير المسيحية، ومصاعب تنصير المسلمين وظهرت في هذه الفترة بعض الأحداث التي تشير إلى بداية نشر النصرانية في وسط المسلمين في مصر، ففي عام ١٩١١تنصر يتيمان في ملجأ ، لكن جمعية العروة الوثقى تدخلت، وأخرجت واحدًا وعشرين طفلاً من هذا الملجأ،إلا أن هذه المرحلة لم تستطع أن تثمر ثمارها المرجوّة، فلم ينتشر التنصير بين المسلمين بالشكل الذي خططوا له؛ لذا عُقد مؤتمر فى حلوان في عام ١٩٢١ضم كنائس غربية وشرقية في حركة عالمية؛ لإعادة توحيد الكنائس .

وأثناء هذه المرحلة نشأ الإمام البنا، وبدأ في الاشتراك في تأسيس الجمعيات التي تنشر الفضيلة، وتحارب المنكرات والشبهات؛ كجمعية الأخلاق الأدبية،وجمعية منع المحرمات،وعندما التحق بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور وكان عمره لم يكمل الرابعة عشرة هبطت في مدينة المحمودية إرسالية إنجيلية لتنصير المسلمين كإحدى الإرساليات التي انتشرت في كل أقاليم مصر، حتى وصلت القرى والنجوع، وكانت تتكون من ثلاث فتيات، ترأسهن مسز وايت، وكانت الفتيات يعملن بتطبيب المرضى، وتعليم التطريز للفتيات، وإيواء الصبية من البنين والبنات، وبدأت الإرسالية تمارس نشاطها التنصيري من خلال هذه الأعمال،

فشعر الإمام البنا بخطورة هذه الإرسالية على المسلمين، خاصة الأطفال والفتيات، فأسس مع صاحبه أحمد أفندي السكري الجمعية الحصافية، وحدد لها ميدانين، الأول: نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة المحرمات كالخمر والقمار، والميدان الثاني: مقاومة التنصير الذي يهدد المسلمين في عقائدهم، وبدأ بفضح هذه الإرسالية، وما تقوم به من تنصير وقاوم هذه الإرسالية وأعمالها .

المرحلة الثالثة ١٩٢٤-١٩٣٩: بدأت هذه المرحلة بمؤتمر عُقد في القدس عام ١٩٢٤ تحت إشراف مجلس التنصير العالمي، و خرج هذا المؤتمر بأن ما آلَ إليه العالم الإسلامي من ضعف وتفكك وإلغاء الخلافة، وحل محلها الدعاوى الوطنية لكل قطر، سوف ييسر كثيرًا من عمليات التنصير، وظهر مبدأ أن المسلمين يمكن أن يصبئوا، وقد صبئوا وهم يصبئون، وهو شعار تكرر ترديده في المؤتمر؛ لذا فقد زاد الدعم المادي لذلك، كما زاد عدد المنصرين، ورفع مستواهم وكفايتهم .

وكان من أهم نتائج المؤتمر :

- خطا أسلوب التنصير الذي يبدأ بنقد الإسلام وإظهار ضعفه أكثر مما يكشف عن قوة المسيحية ، ولكن يجب العكس بالبدء بالحديث عن المسيحية وأهميتها .

- أن التنصير يكون أكثر حسمًا بين الأطفال ، خاصةً في مراحل التعليم الأولى ؛ لأن تعليم الإسلام يتم في مراحل مبكرة للأطفال ؛ لذا يجب التركيز على التعليم ؛ لذا كثرت المدارس الخاصة التي كانت مقرات رئيسية للإرساليات الأمريكية و الإنجليزية .

وفي هذه المرحلة وصلت عمليات التنصير إلى أوج نشاطها، حتى وصل الأمر بالمنصيرين أن يدخلوا المساجد والأزهر الشريف لنشر التنصير بداخلها، كما فعل القس زويمر، وإنشاء مدرسة للعميان بجانب الأزهر لتعليمهم القرآن يرأسها كاهن وأخذت الصحف بداية من عام ١٩٢٨م تنتبه لهذه الظاهرة، وتنشر بشكل يومي أخبارًا عن تنصير مسلمين جُدد أغلبُهم من الفتيات والأطفال ومما أثار النفوس في هذه الفترة نشر الصحف خطابًا لإحدى المنصرات، أشارت فيه إلى نجاح عمليات تنصير الأطفال في مصر بشكل جيد من خلال مدارس التنصير ، كما نشرت الصحف عن قسٍّ بإحدى المدارس يهاجم الإسلام، ويضطهد من يصوم رمضان من الأطفال، واستمر هذا الأمر حتى كان عام ١٩٣٣عندما ظهر أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة هي مصدر دعايات التنصير في كل أقاليم مصر .

في المرحلة الثالثة للتنصير بعد مؤتمر القدس ، وصل التنصير مداه، واستمر حتى بداية الحرب العالمية الثانية، وخلال هذه الفترة لم تترك

الإخوان ومرشدها وسيلة أو طريقة ممكنة إلا وقاوموا بها أعمال التنصير فعندما التحق الإمام البنا بدار العلوم، وجد عمليات التنصير تحدث جهارًا نهارًا، بل يعلن عنها في الصحف، ووجدت جمعيات ومدارس تتباهى بنجاحها فى تنصير المسلمين من غالبية الطبقات، لاسيما النساء والأطفال.

التنصير والتعليم:

بدأ هذا الشكل منذ الخمسينيات من القرن التاسع عشر، وتحديدًا مع وصول القس توماس ماكيج وقرينته في ١٥ نوفمبر ١٨٥٤م، وكان ذلك بقرار من الكنيسة المشيخية الإصلاحية في شمال أمريكا، في مايو عام ١٨٥٣، بأن يتوجه بعض المنصرين العاملين في سوريا إلى مصر وفي أعقاب ذلك وصل العديد من المنصرين الأمريكيين.

ويجب أن نوضح أن مذهب هؤلاء المنصرين هو المذهب البروتستانتي، ومصر لم يكن بها حتى هذا التاريخ عدد يذكر يتبع هذا المذهب، ولم يرد في أية إحصائيات رسمية ذكر له لكن المذهب كان قد حصل على اعتراف رسمي من الدولة العثمانية، وصار هناك وكيل رسمي للطائفة الإنجيلية البروتستانتية في إستامبول، بقرار صدر في ٢٠ نوفمبر ١٨٥٠م وقد كان هناك نشاط لنفس المذهب من كنائس

بريطانية وهولندية، لكن نجاحها كان محدودًا، وموجهًا للأجانب المقيمين في مصر من أبناء الطائفة وقد تميز نشاط التنصير الأمريكي باتجاهه منذ البداية إلى تقديم خدمات تعليمية وطبية، وعن طريق هذه الخدمات يحدث التفاعل مع المجتمع، ويبدأ التأثير على أبناء هذا المجتمع وقد استطاع بالفعل أن يجذب عددًا من المسيحيين المصريين الأرثوذكس وتدريجيًّا ظهرت طائفة بروتستانتية تابعة للكنيسة المشيخية الأمريكية، استطاعت عام ١٨٧٨م أن تعين وكيلاً للطائفة في مصر هو جرجس برسوم وبالتالي أصبح للطائفة وجود رسمي وقد تم إقرار أول شكل كنسي مصري رسمي للطائفة عام ١٩٠٢م، عرف باسم سنودس النيل.

أما جانب التعليم، فقد بدأت المدارس الأمريكية تمارس عملها منذ عام ١٨٥٥م وبمراجعة الإحصاءات المتعلقة بعدد الأمريكيين أو البروتستانت على أرض مصر، يتضح أن هذه المدارس لم تكن موجهة لرعاية أي منهما، بل كان الغرض الأساسي منها هو الاتصال بالمجتمع، وقد نجحت هذه المدارس نجاحًا استفز الكنيسة المصرية، حيث أن عدد المتحولين من الأقباط المسيحيين إلى البروتستانتية تزايد من خلال خدمات التعليم التي تقدمها هذه المدارس، وقد وصل عدد المدارس الأمريكية المنتشرة في جنوب مصر وشمالها عام ١٨٩٧م، إلى ١٦٨ مدرسة منها

١٣٣خاصة بالبنين، ٣٥ خاصة للبنات بها ١١٠١٤ تلميذًا في مختلف المراحل التعليمية. ولكن هذا العدد تأثر بعدة عوامل أدت إلى انخفاض العدد حتى وصل إلى ٧٨ مدرسة فقط عام ١٩٢٧م.

وقد وُلِدَت الجامعة الأمريكية من رحم وضع التعليم الأمريكي فى مصر، ومن ثم فإن وضعها في المجتمع، وعلاقاتها بكل أطرافه متصلة بموقف هذه الأطراف من التعليم الأمريكي، لذا سنوجز تطور العلاقة بين التعليم الأمريكي وأشكال الوجود الأمريكي فى مصر من ناحية، ثم التعليم الأمريكي والقوى الفاعلة في المجتمع المصري من ناحية أخرى وكانت العلاقة بين مؤسسات التعليم الأمريكية فى مصر والتمثيل الدبلوماسي الأمريكي بها علاقة حماية، إذ احتمت كافة مؤسسات التعليم والتنصير بنظام الامتيازات الأجنبية، وبذلك لم تكن في حاجة إلى موافقة أية جهة مصرية لإقامة أو تشغيل أية مؤسسة تعليمية، بل المؤسسات كانت تجتهد في وضع بعض خريجيها والتابعين لها من المتحولين الأقباط إلى المذهب البروتستانتي في منصب وكيل قنصل تابع للقنصل الأمريكي في كافة محافظات مصر ورغم اعتراض الحكومة الأمريكية على تعيين أحد رعايا الدولة العثمانية أي مصري - في هذه المناصب، إلا أن قلة عدد الأمريكان المقيمين فى مصر اضطرها لقبول هذا الوضع، وكانت هذه المؤسسات تعمل على الزج بقنصل أمريكا عند تعارض مصلحة لها مع

القوانين أو مع الحكومة المصرية ولم تكن الحكومة الأمريكية حريصة على تحقيق رغبات هذه المؤسسات إلا إذا أصابها ظلم واضح أو حرمان من حق حصلت عليه دولة أخرى، وكان ذلك واضحاً في مراسلات الحكومة الأمريكية لقنصلها بخصوص مساندة مؤسسات التنصير، فنجد في مواقف مثل مطالبة هذه المؤسسات بحق توقيع عقوبات على الأفراد، أو النـزاع حول ملكية قطعة أرض زراعية جنوب مصر، لا يتم تقديم أية مساندة ولم يكن بعض المراقبين الأمريكان يرون دور هذه المؤسسات في نقل المعلومات إلى الرأي العام الأمريكي إلا دورًا مضللاً، إذ كثيرًا ما كانت تنقل أنصاف الحقائق فكانت تتحدث عن الظلم الواقع على المسيحيين فى مصر، والحقيقة أن هذا الظلم كان واقعاً على الكافة، مسيحيين ومسلمين ويهوداً، ومن ثم لم تكن عاملاً مساعدًا لتقوية العلاقة مع مصر، لكنها كانت من جانب آخر تحصل على تبرعات مادية ودعم سياسي من جانب الأفراد والمؤسسات الأمريكية الدينية أو التجارية وعلى هذا الدعم اعتمدت الجامعة الأمريكية عند إنشائها أما العلاقة بين مؤسسات التعليم الأمريكية والقوى الفاعلة في مصر، فيجب أن نحدد هذه القوى، كما يجب أن نضيف إليها الموقف البريطاني بعد احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢م، حيث أصبح موقف بريطانيا عاملاً رئيساً في شؤون مصر الداخلية والخارجية ونستطيع أن نحدد القوى

إجمالاً في -:الحكومة المصرية - الكنيسة المصرية - المجتمع المسلمون والأقباط - الموقف البريطاني .

مراحل الصراع بين النصرانية والإسلام

منذ الحروب الصليبية والصراع محتدم بين المسلمين والنصارى ولا يزال كذلك حتى ينزل المسيح عليه السلام فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بالإسلام مصداقا لقوله ﷺ :{ والذي نفسي بيده يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ حكما مقسطا فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد } [٩] [١٠] وقد مر هذا الصراع بأربع مراحل ذكرها الأديب الأريب محمود شاكر - رحمه الله - وهي:

المرحلة الأولى: صراع الغضب لهزيمة المسيحية في أرض الشام، ودخول أهلها في الإسلام، فبالغضب أملت اختراق دار الإسلام لتسترد ما ضاع.

المرحلة الثانية: صراع الغضب المتفجر المتدفق من قلب أوروبا مشحوناً ببغضاء جاهلة عاتية مكتسحة مدمرة سفاكة للدماء جاءت تريد

(٩) البخاري أحاديث الأنبياء ٣٢٦٤، مسلم الإيمان ١٥٥ ، الترمذي الفتن ٢٢٣٣، أبو داود الملاحم ٤٣٢٤، ابن ماجه الفتن ٤٠٧٨ ، أحمد ٤٨٣/٢.

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث : ٢٤٢ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة منه حديث ٣٤ ، ٣٧ ، ١١٠ ، ١١١ .

اختراق دار الإسلام، وذلك عهد الحروب الصليبية الذي بقي في الشام قرنين، ثم ارتد خائبا إلى موطنه في قلب أوروبا.

المرحلة الثالثة: صراع الغضب المكظوم الذي أورثه اندحار الكتائب الصليبية، من تحته بغضاء متوهجة عنيفة، لكنها مترددة يكبحها اليأس من اختراق دار الإسلام مرة ثالثة بالسلاح والحرب، فارتدعت لكي تبدأ في إصلاح خلل الحياة المسيحية بالاتكاء الشديد الكامل على علوم الإسلام، ولكي تستعد لإخراج المسيحية من مأزق ضنك وهذه المراحل الثلاث كانت ترسف في أغلال القرون الوسطى أغلال الجهل والضياع ولم تصنع هذه المراحل شيئا ذا بال.

المرحلة الرابعة: صراع الغضب المشتعل بعد فتح القسطنطينية، يزيده اشتعالاً وتوهجاً وقود من لهيب البغضاء والحقد الغائر في العظام على الترك أي المسلمين، وهم شبح مخيف مندفع في قلب أوروبا، يلقي ظله على كل شيء،ويفزع كل كائن، وإذا كانت المراحل الثلاث الأول لم تصنع للمسيحية شيئاً ذا بال، فصراع الغضب المشتعل بلهيب البغضاء والحقد هو الذي صنع لأوروبا كل شيء إلى يومنا هذا، صنع كل شيء لأنه هو الذي أدى إلى يقظة شاملة قامت على الإصرار وعلى المجاهدة المثابرة على تحصيل العلم وعلى إصلاح خلل الحياة المسيحية، لكن لم يكن لها يومئذ من سبيل ولا مدد إلا المدد الكائن في دار الإسلام من العلم الحي

عند علماء المسلمين،العلم المسطر في كتب أهل الإسلام، فلم يترددوا، وبالجهاد الخارجي والحماسة المتوقدة، انفكت أغلال القرون الوسطى بغتة عن قلب أوروبا وانبعثت نهضة العصور الحديثة مستمرة إلى هذا اليوم ومن بدء اليقظة، تحددت أهداف المسيحية الشمالية، ووسائلها، لم يغب عن أحد منهم قط أنهم في سبيل إعداد أنفسهم لحرب صليبية رابعة [١١] وبما أن الأمة تمر بالمرحلة الرابعة من مراحل الصراع الذي يعتمد على العلم والدين والعقل واستخدام الأساليب المؤثرة على الأديان والعقول، فمن أبرز أساليب هذه المرحلة التنصير الذي تدفقت جحافله الآيسة من رحمة الله ومن نجاح أعمالها على أقطار الأمة الإسلامية يبشرونها بالكفر، ويدعونها إلى الضلال والخبال، ويعدونها الغنى إن هي آمنت بالصليب، ومن صدق بهذه الوعود الكاذبة فاز بنسخة من الإنجيل المحرف، وأخذ منه المنصرون كل شيء حتى نفسه، يقول جاك مندلسون: حينما تكون صحة الشبان الأفارقة سعيدة، فإنهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة: إن المبشرين جاءوا إلينا وقالوا: إننا نريد أن نعلمكم العبادة وقلنا: حسنا إننا نريد أن نتعلم العبادة وطلب المبشرون منا أن نغلق أعيننا، وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبد، وحينما فتحنا أعيننا

(١١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، تأليف الأستاذ محمود محمد شاكر . نشر مكتبة الخانجي ودار المدني ، ١٤١٧ هـ ، ص : ٤٤-٤٦ ، ويحسن بالقارئ الكريم الاطلاع على هذه الرسالة؛ لأنها تكشف حقيقة الصراع بين المسلمين والنصارى ، ولأنها تذكي في المسلم عقيدة الولاء والبراء .

وجدنا الإنجيل في أيدينا، ووجدنا أراضينا قد اغتصبت [١٢] .

أهداف التنصير

أخبر الله تعالى عن أهل الكتاب أنهم كفروا بآيات ربهم، ونقضوا ميثاقه، وقتلوا الأنبياء فطبع على قلوبهم قال تعالى: { } [١٣] فغاية أهل الكتاب تتلخص في الأمور التالية:

١ ـ الصد عن سبيل الله تعالى: { } [١٤] .

٢ ـ أن تكون سبيل الله عوجا مائلة عائلة، وهي مستقيمة في نفسها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها [١٥] قال جل ثناؤه: { }[١٦].

٣ ـ أن يتبع المسلمون ملتهم، قال تعالى: { } [١٧].

٤ ـ أن ترتد الأمة الإسلامية وترجع على أدبارها قال تعالى: { } [١٨] و قال تعالى: { } [١٩] .

٥ ـ الحرص على ما يعنت المسلمين ويشق عليهم ويضرهم ويفسد

(١٢) حقيقة التبشير تأليف أحمد عبد الوهاب ، نشر مكتبة وهبة ، ص : ١٣٣ .
(١٣) سورة النساء ، الآية : ١٥٥ .
(١٤) سورة النساء ، الآية : ٤٤ .
(١٥) انظر تفسير ابن كثير جـ٢ ، ص : ٥٢٢ .
(١٦) سورة إبراهيم ، الآية : ٣ .
(١٧) سورة البقرة ، الآية : ١٢٠ .
(١٨) سورة النساء ، الآية : ٨٩ .
(١٩) سورة البقرة ، الآية : ١٠٩ .

عليهم أمرهم قال تعالى: { [٢٠] .

٦ ـ فتنة المسلمين والكيد لهم وخذلانهم وخذلان دينهم وإخماده مدة طويلة [٢١] قال تعالى: { } [٢٢] .

وحينما تستعرض ما كتبه المنصرون عن أهدافهم، أو ما كتبه من تناول هذا الموضوع من المسلمين تجد أن الأهداف التي ذكرها هؤلاء وهؤلاء لا تخرج عن ذلك فقد ذكروا من أهدافهم ما يلي:

١ ـ تفريق الوحدة الإسلامية.

٢ ـ إخضاع العالم الإسلامي للسيطرة الغربية النصرانية والتحكم في خيراته ومدخراته.

٣ ـ السيطرة السياسية والتوسع الاستعماري [٢٣] .

٤ـ الحيلولة دون دخول النصارى في الإسلام، والحيلولة دون دخول الأمم الأخرى ـ غير النصرانية ـ في الإسلام والوقوف أمام انتشاره.

---

(٢٠) سورة آل عمران ، الآية : ١١٨ .
(٢١) انظر تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص : ٣٦١ .
(٢٢) سورة التوبة ، الآية : ٤٧ .
(٢٣) انظر التبشير والاستعمار ، ص : ٣٤ وما بعدها ، وحقيقة التبشير ، ص : ١٥٣ ما بعدها ، والتنصير مفهومه وأهدافه ، تأليف د . علي النملة ، نشر دار الصحوة : القاهرة ، ص : ٣٣ .

٥- القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين، وتحويلهم إلى مسوخ آدمية لا تحمل من الإسلام إلا اسمه، لذلك كانت المهمة الأولى التي قامت من أجلها حركة التنصير هي القضاء على مصدر القوة الأساسية التي يعتمد عليها المسلمون، ألا وهي العقيدة الإسلامية وهذا ما صرح به زويمر؛ حيث قال: أنا لا أهتم بالمسلم كإنسان، إنه لا يستحق شرف الانتساب إلى المسيح فلنغرقه فى الشهوات، ولنطلق لغرائزه العنان حتى يصبح مسخاً لا يصلح لأي شيء.

٦- القضاء على وحدة العالم الإسلامي: فوحدة المسلمين في جميع دول العالم الإسلامي كانت وراء انتصارهم على الغرب.

٧- معاونة الاستعمار الغربي والتجسس على العالم الإسلامي.

٨- الربح المادي والكسب التجاري.

وهذه الأهداف لا تخرج عن الأهداف التي أشارت إليها الآيات الكريمة السابقة وحينما ننظر فيما كتب عن المنصرين وعن مقاصد دعوتهم وأهدافها، نجد أنها أهداف كثيرة متنوعة منها:

١- القضاء على الإسلام في نفوس المسلمين وواقعهم، ولاشك أن هذا داخل في معنى الآيات التي تقدم ذكرها قبل، فهو أول الأهداف والمقدم عليها، فإن انسلخ المسلم من دينه إلى النصرانية وإلا يبقى بدون دين

فكلاهما مطلوب.

يقول المستشرق شاتلي: إن أردتم أن تغزوا الإسلام وتكسروا شوكته وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة، فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم المعنوي وكتابهم القرآن ويقول زويمر أحد كبار المنصرين مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، لذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية إلى أن قال hنكم أعددتم نشئاً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي فقد جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات.

٢- وقف المد الإسلامي وانتشار الدين على مستوى الأقاليم والبلدان، والحيلولة دون دخول الأمم الأخرى غير النصرانية كالهندوس والبوذيين في الإسلام، والوقوف أمام انتشار الإسلام بإحلال النصرانية مكانه، أو بإبقائهم على عقائدهم.

ينقل عن جون قرنق المتمرد الصليبي في جنوب السودان قوله: السودان بوابة الإسلام والعروبة إلى أفريقيا فلتكن مهمتنا الاحتفاظ

بمفتاح هذا الباب حتى لا تقوم للإسلام والعروبة قائمة في جنوب الصحراء الكبرى[1] .

يقول جايردنر في مؤتمر التنصير المنعقد في القاهرة عام ١٩١٠م: فإننا نجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام نهضة إسلامية تعليمية ودينية تحتم علينا تقدم التبشير، إذا كان علينا أن نحافظ على الاعتبار الذي اكتسبناه في الماضي، ولهذا السبب فمن المؤكد أن الوقت قد حان لتحريك العمل إلى الأمام بتخطيط حكيم وتنفيذ واع وجدية مكثفة بين المسلمين في سوريا وفلسطين، وتوجيه انتباه كل جمعيات التنصير التي تعمل في هذا المجال نحو الإنجاز السريع لذلك التحرك المتقدم ويقول: وهؤلاء الطلاب الذين يتم إعدادهم للقيام بالتنصير بين المسلمين يجب أن يضيفوا إلى برامجهم مهمة مراقبة ودراسة ومواجهة هذا الإسلام الجديد بكل مظاهره،ولا يمكن أن تجرى هذه الدراسة إلا في الدول العربية، وذلك المكان بدون جدال هو القاهرة .

٣- تدمير المرأة بالمناداة بما يسمى حقوق المرأة، والتركيز على إخراج المرأة المسلمة من بيتها لأمرين أحدهما :أنه يترتب على ذلك هدم المجتمع وفساد الأخلاق، والثاني :لأنها إن خرجت واستجابت لهم كانت

---

١ ـ الزحف إلى مكة- عبد الودود شلبي

واسطة سريعة لنقل ما يريدون إلى الأسرة، فإن المرأة سرعان ما تتأثر بما تقرأ وما تسمع ومن أجل ذلك اهتم المنصرون بالمرأة اهتماماً شديداً فقلما عقد مؤتمر تنصير دون أن يكون موضوع تنصير المرأة المسلمة هو أحد الموضوعات الرئيسة لهذا المؤتمر، وكشاهد على ذلك كان أحد الأبحاث المقدمة إلى مؤتمر التنصير المنعقد في ولاية كولورادو في أمريكا عام ١٩٧٨م، هو موضوع المداخل النصرانية للمرأة المسلمة وأسرتها .

أما مؤتمر القاهرة المنعقد عام ١٩٠٦م فقد وجهت المنصرات المشاركات فيه النداء التالي: لا سبيل إلى نجاح مهمتنا إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح، إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً لا يقل عن مائة مليون، فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن.

٤ ـ تقوية الأقليات غير المسلمة ولاسيما النصارى منهم، وحمايتهم من أي دين أو فكر غير الفكر النصراني ولاسيما دين الإسلام ، فبلد مثل مصر نجدأن المسيحيين يقاربوا ٥% من عدد سكانها، ولكنهم يملكون ما يقارب ٥٠% من اقتصادها كما ذكرت بعض المواقع، وفى بعض القطاعات يملكون٧٠%فمثلاً شركة موبينيل للاتصالات مسيحية والقائمون عليها مسيحيون ،فهي أحد شركات نجيب ساويرس وهو من أكبر ممولي التنصير في مصر، وتمول الكثير من أنشطة التنصير

باعتراف المنصرين أنفسهم.

٥- تشكيك المسلم في الإسلام وقذف الشبه في قلبه، وقد تكرر هذا الهدف في محاولات المنصر المعروف السموءل صاموئيل زويمر الذي خاض تجربة التنصير في البلاد العربية بعامة وركز على منطقة الخليج العربية خاصة، وقد أرسل إلى لو شاتليه رسالة في ٧ / ٨ / ١٣٢٩ هـ - ٢ / ٨ / ١٩١١م قال فيها: والأمر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وجهات أخرى، هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه، ولا ينبغي لنا أن نعتمد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي.

٦ - تقليل المسلمين بتحديد النسل، لذلك نجد أن ما يتعلق بتحديد النسل ونحو ذلك من أرخص ما يكون في مستوصفات الأمومة، ومنظمة الصحة العالمية أسخى ما تكون في هذا الباب .

٧- تسفير من يقدرون على تسفيره إلى دول كندا وأمريكا وغيرهما لاسيما من الصومال اللاجئين، أو من الشباب المتعلق بما عليه الغرب، ويدخلون على الشخص من الباب الذي يحب، فهم كالسفراء الذين يرحلون من قدروا على ترحيله.

٨- تغيير المناهج الدراسية في الدول الفقيرة التي هم فيها، أو على الأقل حذف الآيات التي تتعلق بالجهاد في سبيل الله أو بكفر أهل الكتاب أو تأمر بعداء الكفار أو نحوها.

٩- من أهدافهم استرداد ما استطاعوا أن يردوه من أراضي المسلمين التي كانت في أياديهم قبل المسلمين كالشام وغيرها.

أما الأهداف التي انطلقت بعثات التنصير لتحقيقها، فتتلخص في تنصير المسلمين وبناء كنائس وطنية، وإذا لم يتحقق ذلك فلا أقل من إبعاد المسلمين عن دينهم وجعلهم يألفون رؤية النصارى وكنائسهم وكتبهم، لعل ذلك يساهم في نشر النصرانية ولو بعد حين ، وقد عبر عن هذين الهدفين زعيم التنصير في المنطقة العربية القس صمويل زويمر حين قال : إن لنتيجة إرساليات التنصيرفي البلاد الإسلامية مزيتين : مزية تشييد ، ومزية هدم ، أو بالحري مزيتي تحليل وتركيب فالهدف الأول هو إبعاد المسلمين عن دينهم، والهدف الثاني هو إدخالهم في النصرانية ،وكثيرًا ما اكتفى المنصرون بالهدف الأول بعد أن أعياهم تحقيق نتائج إيجابية في الهدف الثاني.

يقول زويمر في مؤتمر القدس مخاطبًا المنصرين الذين يشكون من قلة المتنصرين : إني أقركم على أن الذين أدخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين لكن مهمة التنصيرالتي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال

المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريمًا وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام فقد جاء النشء الإسلامي طبقًا لما أراده الاستعمار لا يهتم بعظائم ويحب الراحة والكسل ويؤكد شنودة على أهمية هذا الهدف فيقول : يجب مضاعفة جهود التبشير الحالية ، إذ أن خطة التبشير التي وضعت على أساس اتفق عليه للمرحلة القادمة هو زحزحة أكبر عدد ممكن من المسلمين عن دينهم والتمسك به ، على ألا يكون من الضروري اعتناق المسيحية ، فإن الهدف هو زعزعة الدين من نفوسهم وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في صدق محمد كما يقول منصر آخر :وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم أحمد أو مصطفى، أما الهداية فينبغي البحث عنها في مكان آخر ويقول المنصر فيليب : إن فرصتنا الوحيدة لعمل التنصير في مصر وغيرها من البلاد العربية هو الإسراع في إزالة المظاهر التقليدية للمجتمع الإسلامي وجعل هذا المجتمع في حالة قابلة للغزو الحضاري الغربي والإنجيل ، وهي السياسة التي اتبعها المنصرون بقوة بمساعدة الإدارة البريطانية.